من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين

بقلم فضيلة الشيخ

محمد عبدالله بن الصديق

المفتي بدائرة القضاء الشرعي بأبوظبي

١٤١٨هـ /١٩٩٧م

من غرائب المفسرين في أواخر القرن العشرين

بقلم العبد الفقير إلى الله ربه الغني
محمد عبدالله بن الصديق الجكني الشنقيطي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد :

فقد كنت ذات يوم ـ كما هي عادتي ـ أتجول ببصري وبدني في مكتبة دائرة القضاء الشرعي ، وفي إحدى المرات توقفت عند جناح الكتب المشتملة على العلوم القرآنية من تفسير وغيره ـ فعثرت على مفسر ضخم لم أره من قبل ولم أسمع به ولعل السبب في ذلك هو كونه جديداً جداً حيث إنه لم يتجاوز من العمر أكثر من خمس وعشرين سنة، ومؤلفه يدعى عبدالكريم الخطيب ، وقد لفت نظري عنوان الكتاب الذي هو:"التفسير القرآني للقرآن" ولفت نظري كذلك أن اسمه قريب من اسم كتاب شيخنا الإمام العلامة الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي تغمده الله برحماته وأسكنه فسيح جناته فكتاب شيخنا اسمه " أضواء

البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ومع تقاربهما في التسمية نجدهما متقاربين في الزمن لأن كتاب شيخنا فرغ من كتابة الجزء الأول منه سنة ١٣٨٠هـ فيما أعتقد وفرغ من الجزء السابع قبيل وفاته سنة ١٣٩٣هـ حيث وصل إلى قوله تعالى : [ألا إن حزب الله هم المفلحون] (١) ، أما كتاب عبدالكريم فقد فرغ منه صباح يوم الخميس لتسعة عشر يوماً خلت من جمادى الأولى سنة تسعين وثلاثمائة وألف ، ويتشابهان كذلك في أن الداعي إلى تأليفهما واحد أو متقارب .

فشيخنا يقول في كتابه :

أما بعد فإنا لما عرفنا إعراض أكثر المتسمين باسم المسلمين اليوم عن كتاب ربهم ونبذهم له وراء ظهورهم وعدم رغبتهم في وعده وعدم خوفهم من وعيده علمنا أن ذلك مما يعين على من أعطاه الله علماً بكتابه أن يجعل همته في خدمته من بيان معانيه وإظهار محاسنه وإزالة الإشكال عما أشكل منه وبيان أحكامه والدعوة إلى العمل به وترك كل ما يخالفه .

أما عبدالكريم فيقول في مقدمته الطويلة :

ولكن صحبة المسلمين للقرآن لم تكن قائمة على العدل والإحسان في جميع الأحوال فكثيراً ما أساء المسلمون تلك الصحبة وأوسعوها جفاء وعقوقاً حيث يعيش القرآن فيهم غريباً لا يقفون عنده ولا يلتفتون إليه ولا يتدبرون آياته ولايتلقون بعض ما فيه من خير وهدى ، إلى أن قال : ولا يستقيم هذا القول الذي نقوله في

---

(١) آخر سورة المجادلة .

القرآن بأنه مصدر التشريع الإسلامي إلا بفهم سليم صحيح لكتاب الله وتذوق لأساليب بيانه ووقوف على بعض أسراره، ثم قال : ومن أجل هذا كانت صحبتنا هذه لكتاب الله .

وكما أن شيخنا رحمه الله يرى أن السنة تبين وتوضح كتاب الله ويقول: (واعلم أن السنة كلها مندرجة في آية واحدة من بحره الزاخر وهي قوله تعالى :[**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا**] نجد عبدالكريم يقول :

وطبيعي أن هذا الذي نقوله عن كتاب الله نقوله كذلك فيما ثبت من سنة رسول الله القولية والفعلية إذ كانت السنة المطهرة تطبيقاً شارحاً لكتاب الله ، وفي هذا يقول الله تعالى : [**وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا**].

وإذا كان الكتابان متشابهين في الإسم وفي السبب الداعي إلى تأليفهما فإنهما لا يتشابهان في غير ذلك كما يستطيع أن يعرفه كل من قرأ بضع ورقات من هذا وهذا ، والتشابه في الأسماء لا يلزم منه التشابه في الصفات فقد نجد شخصاً اسمه زيد وآخر اسمه زيد مع تباين صفاتهما .

ومما قيل في ذلك قول الشاعر :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والأغر ابن حاتم

وقد سئل الزمخشري عن شيخين كل منهما يسمى موسى ويعيشان في بلد واحد فقال:

سئلت عن موسى وموسى ما الخبر   فقلت شيخان كقسمي القدر

فالفـــرق بين الموسيين قد ظهـر   موسى بن عمران وموسى بن ظفر

موسى بن عمران هو الذي اصطفاه الله برسالته وبكلامه وأنزل عليه التوراة وموسى بن ظفر هو السامري الضال المضل الذي حمل قومه على عبادة العجل.

وحيث إن رسول الله ﷺ قد قال : "الدين النصيحة " قلنا لمن قال "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم "(١) وهو حديث قال بعض العلماء إنه أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام، وقال النووي إن المدار عليه وحده رأيت أن أقدم إن شاء الله للقاريء بعض الأمور التي انحرف فيها عبدالكريم الخطيب عن الخط المستقيم في تفسيره "القرآني" مع أني لم أطالع منه إلا مواضع يسيرة جداً ، ولو تتبعت جميع ما فيه لملأت مئات الصفحات بالملاحظات.

والآن أبدأ فأقول :

١- ذكر في ص٢٠ ج١عند تفسيره للفاتحة :أن المغضوب عليهم هم اليهود ولم يذكر أن الضالين هم النصارى، وقد ذكر ابن كثير وغيره الأحاديث التي وردت بالنص على أن المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى وهذه الأحاديث منها ما صححه بعضهم كابن حبان والحاكم ومنها ما حسنه بعض آخر كالترمذي، ثم قال ابن كثير: وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافاً ،

---

(١) رواه مسلم

وذكر ذلك غيره، وآيات القرآن الكريم تشهد على ماقاله هؤلاء الأئمة،وفي هذا الأمر ملاحظتان :

إحداهما : أنه قال إنه يعتبر سنة رسول الله ﷺ الثابتة فلماذا لم يقبل هذا التفسير الثابت في السنة والذي فيه أن اليهود هم المغضوب عليهم والنصارى هم الضالون، والثانية : أنه عدل عن التفسير الذي لا يعرف فيه خلاف بين المفسرين كما قال ابن كثير عن ابن أبي حاتم.

لكن يمكن الجواب عن هذه الملاحظة بأنه كان قد قال لنا إن له برنامجاً خاصاً لا يكترث فيه بأقوال المفسرين قال: "إننا لا نفسر القرآن بالمعنى المعروف للتفسير(١) في هذه الصحبة التي نصحب فيها كتاب الله وإنما نحن نرتل آيات الله ترتيلا آية آية أو آيات آيات ثم نقف لحظات نلتقط فيها أنفاسنا المبهورة لما تطالعنا به الآية أو الآيات من عجب ودهش وروعة ثم نمسك القلم لنمسك به بعض ما وقع في مشاعرنا من صور العجب والدهش والروعة الخ .

ولا شك أنه قد أوفى بما تعهد به حيث إنه لا يبالي بأقوال المفسرين ولو وقفوا جميعهم ضده ، ويمكن أيضاً أن يعتذر عن الملاحظة الأولى بأنه لَعَلَّهُ كانت عنده

---

(١) رحم الله إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري لقد ذكر أقوال المفسرين عند قوله تعالى : [ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها] ثم قال : ولولا أن أقوال أهل التأويل مضت بما ذكرت عنهم من التأويل وأنا لا نستجيز خلافهم فيما جاء عنهم لكان وجهاً بحتمله التأويل أن يقال ولا تجهر بصلاتك التي أمرتك بالمخافتة بها وهي صلاة النهار لأنها عجماء لا يجهر بها ولا تخافت بصلاتك التي أمرتك بالجهر بها وهي صلاة الليل فإنها يجهر بها إلى أن قال: ولكنا لا نرى ذلك صحيحاً لإجماع الحجة من أهل التأويل على خلافه.

مهادنة أو صداقة مع النصارى ولا يحب أن يقول فيهم ما يزعجهم ،ويشهد لذلك ما ياتي :-

٢- بعد أن فرغ من تفسير الفاتحة ص٢١ قال:

واستمع إلى هذا الدعاء أو الصلاة :

" أبانا الذي في السموات والأرض ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.. خبزنا كفافنا. أعطنا اليوم ، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا..ولا تدخلنا في تجربة .. لكن نجنا من الشرير.. لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد،، أمين"

ثم قال :

أتدري ما هذا الكلام؟ "

" إنه الصلاة التي كان يصلي بها السيد المسيح والتي علم أتباعه أن يصلوا بها"

إذ يقول لهم :

"وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم فإنهم يظنون أنهم بكثرة كلامهم يستجاب لهم .. فلا تتشبهوا بهم .. لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.. فصلوا أنتم هكذا" ، وكتب على الهامش: " إنجيل متى الإصحاح السادس".ثم يذكر لهم هذه الصلاة على النحو السابق".

ثم قال عبدالكريم:

وأنت ترى مابين هذه الصلاة التي كان يصلي بها السيد المسيح ويعلمها أتباعه وبين فاتحة الكتاب التي هي قرآن المسلمين في صلاتهم ـ أنت ترى ما بين هذه وتلك من تشابه كبير في الروح التي تستولي على الإنسان وهو يتلوها خاشعاً متعبداً.. أليس ذلك دليلاً على أنهما من معدنٍ واحدٍ وأن متنزلهما من السماء وحياً من رب العالمين؟ أليس ذلك دليلاً على أن ما بين الديانات السماوية من صلات وثيقة قائمة على الحق والعدل؟بلى: وإنه لو سلمت الكتب السماوية من التحريف لالتقت مع القرآن في أصول الدعوة وفروعها على السَّوَاءِ

والذي نعتقده أن هذا الذي نسبه لإنجيل متّى وسماه دعاء أو صلاة ليس بينه وبين فاتحة الكتاب الكريم أي تشابه لا في اللفظ ولا في المعنى، ويستطيع أن يعرف ذلك كل من له إلمام بالعربية وكل من يدين دين الإسلام الصحيح،وكيف يصدق مسلم أن عيسى عليه السلام يخاطب ربه عز وجل قائلاً: "أبانا" فهذا الدعاء أو هذه الصلاة ما هو إلا إعلان عن العقيدة النصرانية التي يؤمن أصحابها بأن عيسى ابن الله كما قصَّ الله علينا في كتابه العزيز:

"**وقالت النصارى المسيح ابن الله** " وما ادعاه من تشابه هذا الدعاء النصراني وفاتحة الكتاب ما هو إلا برهان ثان على أن هذا المفسر عنده ميل إلى النصارى أو بينه وبينهم مصادقة أو تفاهم.

وكيف استطاع أن ينسب هذا الكلام للمسيح عليه السلام وهو يعترف بأن الكتب السماوية القديمة قد دخلها التعديل والتحريف ، ثم هو مع هذا يرد

الأحاديث الصحيحة، ويؤمن بإنجيل متّى الذي لم يروه عن رواة عدول ولا رواة فُسَّاق إذ لا يوجد منه شيء إلا عن طريق الكفار مع إهمالهم للإسناد الذي هو من خصائص هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

٣- يقول عبدالكريم في تفسير سورة الأعراف عند قوله تعالى : **"ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك"** .... الآية وقد أجاب الله موسى بقوله " لن تريني" هكذا حكماً قاطعاً مؤبداً إذ إنَّ ذلك أمر مستحيل.

وقال في تفسير سورة القيامة ج١٥ص١٣٣٨:

أكثر المفسرون من المقولات التي تقال في تأويل الوجوه الناظرة إلى ربها وهل في الإمكان رؤية الله ، إن الرؤية معناها تحديد المرئي وتجسيده والله سبحانه منزه عن التحديد والتجسيد .. فكيف يمكن رؤيته إلى أن قال:

ولهذا فإن خير ما يحمل عليه قوله تعالى : " **إلى ربها ناظرة**" هو ما ذهب إليه السلف من أن المراد بالنظر إلى الله هو النظر إلى رحمة الله والطمع في رضوانه إلى أن قال: أما النظر في وجه الله سبحانه وتعالى في الآخرة وأما إمكانه في الآخرة فذلك إن صحت الأخبار المروية عنه ـ مما نؤمن به غيباً ولا نبحث صورة ولا كيفاً.

وسبق له في تفسير سورة البقرة ج١ص٨٥قوله :

وكان من إعناتهم لنبيهم موسى وإلحاحهم عليه في ثرثرة كثرثرة الصبيان ولهفة كلهفة الأطفال أن طلب موسى من ربه أن يراه حتى يراه معه هؤلاء الأغبياء كما جاء في قوله تعالى على لسان موسى : " **ولما جاء موسى لميقاتنا" ..الآية**

وفي هذا الكلام كثير من الملاحظات .

منها: أن حكمه بأن " لن تراني" حكم قاطع مؤبد زعم لا دليل عليه من اللغة ولا من الشرع ولا من العقل.

أما أنه لا دليل عليه من اللغة فلأن حرف"لن" يدل على النفي في المستقبل من غير أن يدل على التأبيد ولم ينقل عن أحد من النحويين القدماء أنه يدل على التأبيد ولم يقل به من المتأخرين إلا الزمخشري حيث ادعى ذلك في كتابه " الأنموذج" كما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب مع أن الزمخشري ذكر في الكشاف أن "لن" تفيد توكيد النفي ولم يقل إنها تفيد التأبيد ومع العلم بأن الزمخشري معتزلي متشدد في اعتزاله والمعتزلة ينكرون رؤية الله تعالى في الجنة ، وقال ابن مالك في شرح التسهيل: وذكر الزمخشري في أنموذجه أن لن لتأبيد النفي ، قال الشيخ رحمه الله : أي قال ابن مالك : وحامله على ذلك اعتقاده أن الله تعالى لا يرى وهو اعتقاد باطل لصحة ثبوت الرؤية عن رسول الله ﷺ .

ومنها : أن ما نسبه للسلف في تفسير " إلى ربها نظرة" مخالف لما ذكره علماء أهل السنة من أن الصحابة كلهم يقولون برؤية المؤمنين لله تعالى في الجنة بدليل هذه الآية وآية الزيادة وهي قوله تعالى : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" وبدليل

الأحاديث المتواترة ، و لم ينقل عن أحد منهم خلاف ذلك و لم ينقل عن أحد من التابعين كما سنبينه إن شاء الله تعالى ، إذ معنى قوله تعالى :"وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة " أن الناس يوم القيامة يكونون طائفتين . طائفة المؤمنين وطائفة الكفار . فالمؤمنون يومئذ أي في هذا اليوم وجوههم ضاحكة مستبشرة ناضرة ناظرة إلى ربها بأعينها وطائفة الكافرين وهم وجوههم باسرة كالحة عليها غبرة ترهقها قترة تعتقد أنها تصاب بداهية فاقرة تكسر فقار الظهر وأما الآية الأخرى فقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار . قال : فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" ثم قال مسلم : حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد وزاد ثم تلا هذه الآية : " للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " وروى ابن جرير عن جماعة من الصحابة والتابعين أن المراد بالزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وروى البيهقي في كتاب " الاعتقاد" حديث مسلم مستشهداً به على هذا الذي ذكرناه ثم روى ما يوافقه عن جماعة من الصحابة والتابعين كما فعل ابن جرير، وقال عبدالكريم عند هذه الآية : وكان جزاؤهم إحسانا بإحسان وزيادة مضاعفة على هذا الإحسان و لم يتكلم على تعيين الزيادة متجاهلاً بذلك ما جاء في الحديث وما روي عن الأئمة، أما جواز الرؤية عقلاً وشرعاً زيادة على ما تقدم فيكفي فيه أن موسى عليه السلام ـ وهو رسول الله الذي اصطفاه برسالته وبكلامه سأل ربه

الرؤية ولو كانت مستحيلة ما طلبها هذا الرسول المعصوم، ومن المعلوم أن أحاديث رؤية الله تعالى في الجنة متواترة كما نص على ذلك الحفاظ والعلماء ، وينبغي أن لا ننسى أن عبدالكريم قال في أول كتابه ج١ص١٠ إنه يؤمن بما ثبت من السنة القولية والفعلية، ولكنه نسي ذلك أو تناساه في هذا الموضع وفي مواضع أخر من كتابه.

ومنها : وهو من أعجبها أنه يقول هنا إن مذهب السلف أن المراد بالنظر إلى الله عز وجل هو النظر إلى رحمة الله وهذا شيء لم ينقله أحد من أهل العلم عن السلف فلم ينقل عن أحد من الصحابة أنه أنكر رؤية الله تعالى في الجنة كما هو مضمون هاتين الآيتين ولم ينقل كذلك عن أحد من التابعين حسب علمنا إلا ما روي عن مجاهد وأبي صالح وهما محجوجان بإجماع الصحابة مع أن المنقول عنهما إنما هو تفسير الآية وحملها على وجه لا يدل على إثبات الرؤية ولم ينقل عنهما التصريح بنفيها البتة.

والمعروف عند علماء أهل السنة أن نفي رؤية البارئ سبحانه وتعالى في الجنة عقيدة اعتزالية ، وهي من أشهر مسائل الخلاف بينهم وبين أهل السنة .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة القيامة ج٤ص٤٥٠

وقد ثبتت رؤية المؤمنين "لله عز وجل " في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ثم ذكر بعضها إلى أن قال: وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه

الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام ومن تأويل [1] ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد " إلى ربها ناظرة" قال : تنتظر الثواب من ربها . رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد ، وكذا قال أبوصالح أيضاً فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى : " كلا إنهم عن ربهم يؤمئذ لمحجوبون" قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وقال الأزهري الإمام اللغوي .

قد أخطأ مجاهد لأنه لا يقال نظر إلى كذا ، بمعنى انتظر فإن قول القائل نظرت إلى فلان ليس إلا رؤية عين فإذا أرادوا الانتظار قالوا نظرته ، وأشعار العرب وكلماتهم في هذا كثيرة جداً. انظر القرطبي وفتح القدير للشوكاني.

هذا بالإضافة إلى أن مجاهداً وأبا صالح لم يرو عنهما ـ والله أعلم ـ القول بمنع الرؤية في الجنة وإنما المروي عنهما هو تفسير الآية وحملهاعلى وجه يجعلها غير دالة على الرؤية و لم نجد أحداً روى عنهما التصريح بنفي الرؤية .

ولعل هذا هو السبب في أن ابن كثير نسب إثبات الرؤية لإجماع الصحابة والتابعين ، وعلى تقدير أن الآية لاتدل على الرؤية تبقى السنة الصريحة المتواترة.

---

(١) هكذا وقع في النسخة ولعل الصواب "ومن تأول".

وقال البيهقي في كتاب الاعتقاد : ولم يرو عن أحد منهم ـ أي من الصحابة نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم إلينا، وكما أنهم لما اختلفوا في رؤيته بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا ، ومن أحسن ما نظم في إثبات الرؤية والرد على المعتزلة قول العلامة أبي العباس المقري:

ورؤيــة الإله بالأبصـــــار تجوز عند أهل الاستبصار
دون تقابـل أو اتصـــــال بل بـالذي يليـق بالجلال
وأهل الإعتـزال والضـلال قضـــوا بأنها مـن المحال
إذ فسروا الرؤيـة بالشعـــاع وذاك في ذا الباب ذو امتناع
وإنما الرؤية معنـى خلقـــا في الشيء بالمرئي قد تعلقا
وكون موسـى سـال الجلـيلا في أمرهـــا غدا لنا دليـلا
إذ مثله لا يجهـل المحــــالا في حق عن كلمـه تعالى
وقد رأى خير الـورى الديانـا ليلة أسري به عيـــانـا
في المذهب المصحح المشهور وهو الذي ينمى إلى الجمهور
والمؤمنون خصهم في الآخره بها منيلهم مزايـــا فاخـره
كما أتى عن صاحب السياده فالجنة الحسنى وذي الزياده
وكم أحاديث بها صـــريحه مروية مـن طـرق صحيحه
كقوله "كما ترون القمـرا وقَبْلَ هـذا " ستـرون "الخبرا

وقول الناظم "وقد رأى خير الورى الديانا " الخ

نحوه قول الحافظ العراقي في ألفية السيرة :

ثم دنا حتى رأى الإلها بعينه مخاطباً شفاها

وقوله " وهو الذي ينمى إلى الجمهور"

موافق لما في شرح النووي لصحيح مسلم قال: فالحاصل أن الراجح عند العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء ج٣ص٥ وهذه المسألة أعني كونه ﷺ قد رأى ربه ليلة الإسراء أو لم يره قد اختلف فيها علماء الأمة من الصحابة فمن بعدهم ، ولم يختلفوا في أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة ومن ادعى أن بعضهم قال بمنعها فعليه البينة .

وخلاصة ما ذكرناه أن عبدالكريم خالف ظاهر الآية أو نصها وخالف الأحاديث المتواترة وخالف إجماع الصحابة والتابعين وخالف علماء العربية المعتبرين؛ وزاد على ذلك أن نسب إلى علماء السلف ما لم يقله أحد منهم ، اللهم إلا إذا كان يعني سلف المعتزلة ، وهؤلاء بحمد الله ليس فيهم صحابي ، وزاد أيضاً أن شكك في صحة الأحاديث المتواترة .

وأما قوله "أما النظر في وجه الله سبحانه وتعالى في الآخرة وإمكانه وكيفيته فذلك إن صحت الأخبار المروية عنه مما نؤمن به غيباً ولا نبحث صورة ولا كيفاً " فهذا تخنيط لأنه يورد ما تقدم عنه في سورة القيامة ومعلوم أنها واردة في رؤية الله تعالى في الآخرة ، فما معنى كونه يؤمن به غيباً بعد أن قال فيه ما قال؟

هذا وقد سبق له في تفسير سورة البقرة أن سؤال موسى رؤية ربه كان يريد به أن يراه قومه وأنهم هم الذين حملوه على ذلك ، وهذا الذي قاله لا يدل عليه قوله تعالى في الآية : " رب أرني أنظر إليك" ولا توجد آية أخرى تدل عليه بأي نوع من أنواع الدلالة ، فانظر كيف أقدم على هذا من تلقاء نفسه ، وأنا أقول لعله رواها عن إنجيل متّى.

سورة الإسراء

٤- يقول عبدالكريم : ومن أعجب الأعاجيب هنا أن تجد لهذه السورة اسماً يجعله المفسرون من بعض أسمائها على ما جرت به عادتهم من تكثير الآراء وحشدها للأمر الواحد فجعلوا من أسماء هذه السورة اسم "بني إسرائيل " .

وواضح أن هذا الإسم دخيل منتحل تسلل إلى المفسرين وأصحاب السير فيما تسلل من الإسرائيليات التي دسها اليهود على هؤلاء العلماء فقبلوها بحسن نية إلخ..

وينبغي أن يعلم أن من أشهر العلماء الذين سموها هذا الاسم إمام المحدثين أبا عبدالله البخاري فقد سماها هذا الإسم في كتابه الجامع الصحيح ، وإمام المفسرين والمحدثين والفقهاء أبا جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ، وقال البخاري في كتاب التفسير: سورة بني إسرائيل ثم قال حدثنا آدم حدثنا شعبة عن ابي إسحق قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي. فتح الباري ج٨ص٣٨٨.

وقال في كتاب فضائل القرآن : في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن..الخ فتح الباري ج٩ ص٣٩ (١) فهذه التسمية ليست من تسمية المفسرين وإنما هي من كلام عبدالله بن مسعود الذي هو من أوسع الصحابة علماً وخاصة علم القرآن، وهو من أقدمهم إسلاماً وهجرة فقد أسلم سادس ستة وهاجر الهجرتين وشهد مع رسول الله ﷺ بدراً والمشاهد بعدها . وإذا كان عبدالكريم يستشنع تسمية سورة من القرآن باسم بني اسرائيل فلماذا لم يستشنع تسمية سورة أخرى باسم "الأحزاب" وهل كان الأحزاب إلا طوائف من اليهود ومشركي قريش وغطفان تحزبوا على رسول الله ﷺ

ومن معه وغزوهم في عقر دارهم ليطفئوا نور الله باستئصالهم ولكن الله سلم وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ولماذا لم يستشنع تسمية أخرى باسم "الروم" وعداوتهم للمسلمين لم تخب نارها منذ فجر الإسلام إلى اليوم ، ثم هل كانت تسمية السورة يقصد بها تعظيم ما أضيفت إليه كالعنكبوت والنمل والبقرة ونحو ذلك أم يقصد بها مجرد التمييز أم ماذا؟ ينظر في ذلك "البرهان" للزركشي و"الاتقان" للسيوطي ثم بعد هذا تعرض عبدالكريم لقصة

---

(١) وقال السيوطي في الدر المنثور : أخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال نزلت سورة بني اسرائيل بمكة ، وأخرج البخاري وابن الضريس وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قال في بني اسرائيل والكهف ومريم انهن من العتاق الأول وهن من تلادي، وأخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وابن مردويه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر ، وأخرج ابن أبي شيبة عن ابي عمرو الشيباني قال : صلى بنا عبدالله الفجر فلما سورتين الأخرة منهما بنو اسرائيل .

الاسراء ففند منها ما فند إلى أن قال: ولليهود هنا في هذه القصة دور كبير في دس الأخبار وتلفيق الأحاديث حيث المجال فسيح يتسع لكل قول يقال في هذا العالم العلوي وفي المشاهد التي يمكن أن يشهدها من يصل إلى هذا العالم ويطوف به، وأبرز ما نراه من دس اليهود هنا هو ما يروى في حديث المعراج من اللقاء الذي كان بين النبي وموسى عليهما الصلاة والسلام وأن موسى سأل النبي صلوات الله وسلامه عليه عما افترض الله على أمته من الصلاة فلما قال النبي ﷺ لموسى إنها خمسون صلاة افترضها الله على المسلمين في اليوم والليلة قال موسى ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ثم تقول الرواية : إن رسول الله ﷺ رجع إلى المولى سبحانه وتعالى وسأله التخفيف فاستجاب الله فجعلها أربعين إلى أن قال :

هذه الرواية تشير إلى أمور منها:

أولاً : أن تجعل لموسى عليه السلام ما يشبه الوصاية على النبي ﷺ وهذا من شأنه أن يجعل لليهود منزلة أشبه بهذه المنزلة.. هذا إذا جعلنا في اعتبارنا هذا الخبر المدسوس إنما يحدث به المسلمون دون أن يرى أحد أن لليهود شأنا فيه إذ كانوا ينكرون نبوة النبي ﷺ فكيف يعترفون بعروجه إلى السماء؟

ما وجه الحكمة في أن يكون تدبير الله سبحانه وتعالى أن تجيء فريضة الصلاة على هذا الأسلوب الذي يشبه أسلوب المناقصات !! والذي يبدأ بخمسين صلاة ثم ينتهي بخمس صلوات؟

وما الحكمة في أن يغدو النبي الكريم ويرجع بين موسى وربه كل هذه الغدوات وهذه الروحات ألا غدوة وروحة واحدة تكفي إن كان لا بد منها!

إن كان واضع هذا الرواية قد أبى إلا أن يجيب عن هذه التساؤلات ، وأن يكشف عن وجه الحكمة في هذا فيجعل من تمام الرواية أنها "خمس في العمل وخمسون في الأجر" ثم ذلك الإختلاف هل كان الإسراء بالروح والجسد معاً ؟ وقد أطال في ذلك ثم تكلم على البراق فقال:

فالبراق مثلاً الذي يأخذ في حديث الإسراء لونا بارزاً صارخاً والذي يهيأ للرسول ليتخذ منه مطية إلى العالم العلوي هذا البراق ليس إلا أتانا ركب عليه جناحان من ريش فصار أشبه بلعبة من لعب الأطفال التي يؤلفونها من حطام بعض لعبهم التي انتهى دورها معهم " .

هذا ومن المعلوم أن حديث الإسراء قد رواه الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما ورواه غيرهما فلا يكذبه ولا يسخر منه إلا ضال مضل وقد ذكر الحافظ ابن كثير رواته من الصحابة فبلغوا أربعة عشر وهذه أسماؤهم على ترتيبه:

أنس بن مالك ـ مالك بن صعصة ـ أبوذر ـ بريدة بن الخصيب ـ جابر بن عبدالله ـ حذيفة بن اليمان ـ أبوسعيد الخدري ـ شداد بن أوس ـ عبدالله بن عباس ـ عبدالله بن مسعود ـ عمر بن الخطاب ـ أبوهريرة ـ عائشة أم المؤمنين ـ أم هانيء بنت أبي طالب رضي الله عنهم.

فهذا الحديث الذي يحتوي على قصة الإسراء والمعراج وصفة البراق ومراجعة رسول الله ﷺ ربه للتخفيف عن أمته بإشارة من موسى عليه السلام من الأحاديث ـ التي لا يتطرق إليها الاحتمال ولا تمتد إليها أصابع الإتهام إلا ممن طمس الله بصيرته ولم يشرح صدره للإسلام . لقد ظل هذا الحديث ثابتاً راسخاً عند المسلمين إلى أن جاء عبدالكريم في آخر القرن الرابع عشر الهجري ففتنه وسخر منه وجعله من دسائس اليهود ومن تلقي علماء المسلمين بدون فهم فهو يتهم هؤلاء الذين حملوا الشريعة الإسلامية وبلغوها سائر الأمم وحموها ودافعوا عنها بمهجهم وأموالهم وألسنتهم حتى خربوا ديار اليهود وقضوا على مملكتي الأكاسرة والقياصرة .

بل إن عبدالكريم هو الذي دس إليه النصارى عقيدة الإبن والأب فنشرها في مستهل تفسيره ونوه بها ووقف عندها وقفة إعجاب حتى ليخيل إليك أنه عند إشادته بها كأنه يرقص ويتمايل طرباً من حسنها وأدى به ذلك الإعجاب الاعمى إلى أن عقد مقارنة بينها وبين فاتحة الكتاب وجعلهما كشيء واحد ولم يشعر بشناعة ما وقع فيه لأن سكرة الإعجاب غطت بصره وبصيرته فصار يلقى الكلام على عواهنه لا يدري ما يخرج من رأسه وكما سخر عبدالكريم من حديث الإسراء والمعراج عامة سخر بصورة خاصة من قصة البراق فأخذ يصفه بصفة فيها تكذيب لما وصفه به رسول الله ﷺ .

لقد جاء في الأحاديث الصحيحة المتفق عليها أن رسول الله ﷺ وصف البراق بأنه " دابة أبيض دون البغل وفوق الحمار" فالنبي ﷺ وصف البراق بأنه ليس بغلاً

ولا حماراً وإنما هو بينهما، ونظير هذا أننا يمكننا أن نصف البغل بأنه ليس حماراً ولا فرساً ولا يصح أن يقال إنه فرس ولا حمار اللهم إلا إذا كان ذلك على وجه التشبيه ، ثم إن النبي ﷺ وصفه بوصف يختص بالذكور بعد أن أخبر أنه دابة وكلمة "دابة" تصلح للذكر والأنثى ولكنه وصفه بقوله " أبيض" فتعين بذلك أن يكون ذكراً ثم أعاد عليه ضمير المذكر في قوله : " يضع خطوه إلخ وجاء وصفه أيضاً بكونه " ملجماً مسرجاً " ولا ينافي هذا ما جاء في بعض الروايات من وصفه " بدابة طويلة الظهر ممدودة" لأنه جاء على لفظ الدابة كما في قوله تعالى :﴿**وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها** ﴾ويشبهه قول الشاعر:

ابوك خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال

ولو سلمنا أن وصفه بما ذكر يؤخذ منه التأنيث لم نجد وجهاً لجعله "أتانا" أي أنثي من الحمير خاصة ، ولكن عبدالكريم تعمد أن يجعله من جنس الحمير وأنه أنثى لأنه قال: "ليس إلا أتانا" فالأتان اسم خاص بالأنثى من الحمير، وقد يتعجب المرء ويسئل نفسه ويسئل غيره : من أين أخذ عبدالكريم كونه أتانا، والظاهر أنه لا يريد بذلك إلا تحقيره.

ثم إن النبي ﷺ لم يصف البراق بصفات الطير التي تطير بأجنحتها وإنما وصفه بسرعة الخطو فقال إنه " يضع خطوه عند منتهى طرفه" ولكن عبدالكريم لم يرتض هذا فجعله " أتانا ركب عليها جناحان من ريش فصار أشبه بلعبة من لعب الأطفال" والظاهر أنه ما أراد بهذا إلا تكذيب هذا الذي جاء في الأحاديث لأن

شيطانه أوحى إليه أن هذا من تلفيق اليهود ، ولكن شيطانه هذا يبدو أنه ليس ناصحاً كل النصح.. وليس من طبعه النصح ـ فهو قد أوحى إليه عقيدة المسيحيين المنسوبة إلى إنجيل متى فقبلها وأعجب بها فماذا نريد منه بعد هذا ؟

وإنني أوصي كل من أراد أن يقرأ هذا المقال الذي كتبناه أو يقرأ كتاب عبدالكريم أن لا ينسى هذه العقيدة النصرانية التي جعلها فاتحة كتابه .

هذا وفيما قرأناه وهو قليل من كتاب عبدالكريم "التفسير القرآني للقرآن" أمور أقل شأنا مما تقدم أحببنا أن نشير إلى بعضها:

فمنها : أنه لما تكلم على خلق آدم عليه السلام أول سورة البقرة أخذ يقرر ويؤيد نظرية دارون وسخر من تفسير الآيات القرآنية التي تدل بنصها على أن آدم خلق من طين وليس فيها ما يشير إلى نظرية التطور والنشوء والإرتقاء مع العلم بأن كل مسلم يعتقد أن الله قادر على أن يخلق آدم وغيره في أقل من لحظة واحدة من طين ومن غير طين **(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)**.

ومنها أنه أراد أن يشكك في أن آدم هو أول الجنس البشري فكأنه تأثر بعقيدة المعرى الذي يقول:

عالم لا يشك فيه قديم ... وزمان على الأنام تقادم

جائز أن يكون آدم هذا ... قبله آدم على إثر آدم

ومنها تأييده للأقوال الضعيفة وإبطال ما عداها من الأقوال التي اعتمدها علماء أهل السنة كما قالوا في شأن الجنة التي أخرج منها آدم أنها هي جنة الخلد فقد قال عبدالكريم إنها بستان أرضي وهو قول ضعيف ، وكذلك قال : إن الروح الوارد في قوله تعالى : (ويسألونك عن الروح) المراد به القرآن فكلا القولين ضعيف مع مخالفته لظواهر نصوص القرآن ومخالفة الثاني للأحاديث الصحيحة الواردة في سبب نزول الآية .

ومنها قوله في تفسير قوله تعالى : (**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير**) في سورة الأعراف قال: في قوله تعالى (**ولباس التقوى ذلك خير**) إشارة إلى أن هذا اللباس إنما هو مما ينسجه الإنسان من ذات نفسه إذ لا وجود له في العالم الخارجي ، ولهذا لم يعطفه الله سبحانه وتعالى على قوله " أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم" حيث مادة هذا اللباس هي مما يراه الإنسان ويلمسه بحواسه في النبات أو الحيوان على حين أن مادة التقوى شيء مطوي في ضمير الإنسان مدسوس في كيانه .

ويبدو من هذا الكلام الطويل الذي تركنا بعضه أن عبدالكريم المفسر ليس له علم بالقراءات مع أن علم القراءات من العلوم التي لا يستغني عنها المفسر، ويبدو ايضاً أنه لم يراجع كتب التفسير في هذا المحل . فلعله كان قد قرأ القرآن برواية حفص أو سمع الناس يقرأون بها أو رآها في أحد المصاحف.

ومن المعلوم أن هذه الكلمة قرئت في القراءات السبع بالرفع والنصب فالرفع قرأ به ابن كثير وأبوعمرو وعاصم وحمزة وتندرج رواية حفص في قراءة عاصم ، وقرأ نافع وابن عامر والكسائي بالنصب .

قال الشاطبي "ولباس الرفع في حق نهشلا" فعلى القراءة بالنصب يتعين أن يكون " ولباس التقوى" معطوفاً على "لباسا" فيبطل بذلك ما قطع به واقتصر عليه عبدالكريم المفسر ، وعلى قراءة الرفع تكون "ولباس" مبتدأ و"ذلك" مبتدءا ثانياً و"خير" خبر المبتدأ الثاني وهو وخبره خبر المبتدأ الأول ولم تحتج الجملة المخبر بها إلى رابط لأن الإشارة بمنزلة الضمير وفيها غير ذلك من أوجه الإعراب.

ولعل في هذا الذي ذكرناه عن كتاب "التفسير القرآني للقرآن" ما يجعل القارىء على حذر مما ترمينا به المطابع الحديثة من الكتب.

ومن العجيب أن المطبعة التي قامت بطبع هذا الكتاب هي المطبعة التي تسمى " مطبعة السنة المحمدية" والتي قالوا إن مؤسسها أقامها على تقوى من الله ورضوان ، ومعنى هذا أنه إذا كانت مطبعة السنة المحمدية التي أسست على تقوى من الله ورضوان تقوم بطبع هذا الكتاب فالمطابع الأخرى أولى وأحرى .

وليس ببعيد أنها اذا قدم إليها انجيل متى أو انجيل لوقا أوقرآن مسيلمة أو كتاب سلمان رشدي فسوف تهش له وتبش وينشرح صدرها وتبادر بطبعه ونشره.

وذلك إما لأنها ليس عندها من يميز بين الصحيح والسقيم ولا بين النافع والضار، وإما لأن المهم عندها هو الحصول على مبلغ من القروش.

وإن هذا الذي قامت به مطبعة السنة المحمدية المؤسسة على تقوى من الله ورضوان ليوجب على المسلم الحازم أن يكون على حذر من كل ما تصدره وتنشره هذه المطبعة وأن يوجس في نفسه خيفة مما تصدره المطابع الأخرى .

ونحن مع هذا نؤمن بقوله تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) فقد كان يظهر في كل عصر من يحاول تحريف كلم القرآن عن مواضعه فيقيض الله له من يبين تحريفه وتلبيسه ويظهر عجره وبجره ، ولن يزال الأمر كذلك إلى أن يرفع الله القرآن ويبقى الناس يتهارجون لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً .

نسأل الله السلامة والعافية وهو حسبنا ونعم الوكيل

التاريخ : ٢١شعبان ١٤١٥هـ .

الموافق : ٢٢ يناير ١٩٩٥م

توقيع المؤلف : محمد عبدالله بن الصديق .

ملحق

هذه كلمة ختامية للمؤلف عبدالكريم ، تتضمن التعريف بالطبعة التي طبعت كتابه والتنويه بها وبمؤسسها والتنويه كذلك بكل من ساعده على إنجاز عمله

قال :"وإني لأذكر هنا بالحمد والثناء ما لقيه هذا التفسير وصاحبه من أسرة مجلة "قافلة الزيت " بالمملكة العربية السعودية من احتفاء وتنويه ..فمنذ صدر الكتاب الأول من "التفسير القرآني" والمجلة ترصد حركاته وتعلن عن مولد كل جديد منه ..حتى إذا كاد يكتمل ويبلغ الغاية تفضلت اسرة المجلة بتقديم هدية كتابية ثمينة طي رسالة رقيقة من رئيس تحريرها الاستاذ الجليل /منصور مدني ..فكان ذلك خير جزاء معجل في الدنيا لهذا الجهد الذي بذلته ابتغاء وجه الله .

والذي أرجو أن يكون لكل من ساعد في هذا الجهد بقول أو عمل جزاؤه من واسع فضل الله العظيم وإحسانه فإنه لايشكر الله من لايشكر الناس..

فجزى الله اسرة مجلة "قافلة الزيت" عني خيراً وأجزل المثوبة لمديرها العام الأستاذ الكبير/ مصطفى حسن الخان ومديرها المسؤول الأستاذ الفاضل/ علي حسن قناديلي ورئيس تحريرها الأستاذ النبيل/ منصور مدني ومحررها المساعد الأستاذ/ عوني أبوكشك.

أما الأستاذ / محمد محمود الخضري صاحب دار الفكر العربي وناشر هذا التفسير والذي وقف إلى جانبي بكل ما يملك من جهد وواصل السير معي خطوة

خطوة من بدء هذه الهجرة إلى كتاب الله حتى نهايتها ـ غير ضنين بجهد أو مال في سبيل تحقيق هذه الرسالة ابتغاء خدمة كتاب الله وتيسير آياته للذكر وتعميم النفع به ـ فهو قسيمي فيما نرجوه من حسن المثوبة وكريم العطاء من رب العالمين ، فجزاه الله خيراً وبارك عليه في ولده وأهله وماله ورعى الله هذه الدار العربية الإسلامية ورعى العاملين بها السادة : فهمي حامد على مدير الدار . وأمين محمد محمود الخضري ، وبدوي بدوي مصطفى.. والابن العزيز محمد عبدالغني السيد الذي شارك مع أخي وزميلي الأستاذ الجليل سيد طلبة القصاص في عملية المراجعة والتصحيح أثناء عملية الطبع وكان لهما فضل كبير في تجنب كثير من الأخطاء .

فلقد كان هؤلاء جميعاً يتعبدون لله في محراب العمل معي لإخراج هذا التفسير ودفع العوائق التي تعترض سبيله أو تعوق مسيرته .

هذا ومن توفيق الله ومن تيسيره لهذا العمل أن تتولى طبعه وإخراجه مطبعة "السنة المحمدية" التي أسسها العالم الحافظ المجتهد محي السنة المرحوم " الشيخ محمد حامد الفقي" فقد أقام هذه المطبعة على اساس من تقوى الله ورضوانه فكانت فيها مغارسه من رجال وأعمال ، حتى لقد خرجت هذه المطبعة عن أن تكون عملاً تجارياً إلى دار عبادة ومحراب صلاة.. ولهذا تجدني إذ أذكر صاحب هذه المطبعة وأدعو له بالرحمة والرضوان أذكر أبناءه وتلاميذه الذي رباهم فيها على يديه ونشأهم على الأمانة والتقوى وعلى رأسهم ابنه الفاضل الأستاذ/ محمد الطيب ، وتلميذه الوفي البار الحاج احمد ابراهيم القائم على إدارة المطبعة ، وتصريف شئونها

في مراقبة الله واخلاص في العمل ، وحفيده / محمد سيد أحمد ومريدوه : الشيخ محمد محمد نصر الدين وعبدالرزاق محمد الكاشف وجميع عمال المطبعة الذين حملوا الأمانة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه.

ولو أني ذهبت أذكر جميع الذين لهم فضل المشاركة والمعاونة في هذا الكتاب لاتسع مجال القول وجاوز الحد الذي عزمت على التزامه ، والوقوف عنده في المقام.

فشكراً شكراً لكل من شارك في هذا التفسير من قريب أو بعيد في سرٍ أوعلن .

"وقل الحمد لله . وسلام على عباده الذين اصطفى" .

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

القاهرة في : ٢٧رمضان ١٣٩٠هـ

الموفق : ٢٦ نوفمبر ١٩٧٠م

احمد إبراهيم

رئيس مطبعة السنة المحمدية

كتبه :(محمد عبدالله بن الصديق)